

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على نبيه محمد الطاهر الامين

الموسيقى العربية في المغرب والاندلس

لقد احدث الاسلام تفاعل ايجابيا بين ثقافات البلدان والشعوب التي نالها شرف اعتناق الدين الحنيف من جهة والثقافة العربية التي بزغت فيها شمس هذا الين حيث كان الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم عربا والقرآن الكريم الذي جاء به عربيا بما حمل في طياته من قصص الاولين وقوانين الحياة الجنيا والآخرة اعجاز في بلاغته وفي تعاليمه التي جات لتتير كل شعوب العالم في كل زمان ومكان .

جاء الاسلام عروة وثقى وحدث بين أصول تلكم الثقافات بما في ذلك الموسيقى التي كانت ولا تزال عنصر وحدة رغم اختلاف اللغات احيانا وتغاير أنماط الحياة التي تفرضها البيئة المناخية ومواقع البلدان الجبلية كانت او بحيره ام صحراوية وما الفرق الذي نلاحظه بين موسيقى بعض مناطق العالم الاسلامي الا جزئيا يكاد لا يفرق عما نلاحظه من تغاير جزئي في النطق باللغة الواحده بين افراد الشعب الواحد وهي في ذلك يكون باقة من الزهور من نوع واحد قد اختلفت الوانها واتجدا ريحها .

وما لموسيقى بلدان المغرب العربي والاندلس الازهرة من تلكم الباقة تنتعش بحرف بقية الزهو وتساهم بجمال لونها في روعة الباقة كوحدة جمالية لا يزيدها الدهر الا تكاملا واشعاعا ورسوخا في المدينة الانسانية.

يؤكد ابن خلدون ان اصل شعوب المغرب العربي او الشمال الافريقي كما كان ينعت من عرب اليمن وقد عرف باللوبيين (يضم اللام) وكانت عاصمتهم مدينة قفصة بالجنوب التونسي ولكن المستعمر الروماني حاول الحط من مكانتهم ونعتهم "بالبربر" ويحكى لنا التاريخ القديم انهم كانوا شغوفين بضروب الفنون وقد ألف احد ملوكهم ديونا الثاني المتوفى سنة 22 بعد المسح عليه السلام كتابا في التشخيص والموسيقى لشيوعهما في ذلك العصر .

وبعد الفتح الاسلامي عرفت هذه المنطقة العربية ازدهارا فنيا رثعا جعلها تشع على اروبا عن طريق شمال اسبانيا وجنوب فرنسا من جهة او جزيرة صقلية التي دام فيها الحضور الاسلام العربي يزيد عن قرنين وجنوب ايطاليا من جهة أخرى .

وظهر فيها اعلام جهابذة في الموسيقى سواء من اصيلي المنطقة أو ممن جاؤوا من مشرق العربي وعملوا على دعم الوحده الثقافية وتخليدها نذكر منهم على وجه الخصوص :

1- الموسيقار زرياب

يقول المقرئ في نوح الطيب : ان اول من دخل الاندلس من المغنين (علون) و (زرقون) في ايام الحكم بن هشام وقد كان محسنين ولكن غنائهما ذهب لغلبة غناء زرياب .
وزرياب هو ابو الحسن على بن نافع مولى الخليفة المهدي (169/158) احد تلاميذ اسحاق الموصلي الذي قدمه الى الخليفة هارون الرشيد فأعرب عن نفسه باحسن منطق واوزج خطاب وساله عن معرفته بالغناء فقال : نعم احسن منه ما يحسنه الناس واكثر ما احسنه لا يحسنونه مما لا يحسن الا عندك ولا يدخل الا لك فلا اذنت غنيتك ما لم تسمعه اذن قبلك ولما احضر اليه عود استاذة اسحاق قال لي عود نحتة بيدي لا ارتضي غيره فامر ادخاله اليه وبين للخليفة ان يقع من وزن عود اسحاق في الثلث وان اوتاره بعضها من حرير لم يغز بماء سخن والبعض الاخر من مصران شبل اسد ثم جلس واندفع يعني :

يا يها الملك الميمون طائره هارون راح اليك الناس وابتكروا

فما اتم النوبة حتى طار الرشيد طربا واثر هذا الموقف على اسحاق وهاج به داء الحسد والزم زريب الرحيل عند بغداد والايكيد له ويقتله

فكان ذلك من حظ المغرب العربي حيث انتقل زرياب الى القيروان ثم الى الاندلس سنة 206هـ/821 م حيث خرج الخليفة عبد الرحمن بن الحكم للاستقباله واسس بها اول مدرسة موسيقية. وزاد وترا خامسا للعود . كما اخترع له مضربا من قوادم النسر عوضا على الخشب . وقد كان زرياب يحفظ عشرة الاف مقطوعة اكسبته ملكه متسعة جعلت الحانة متينة حية الى الآن ضمن المؤلف وغنى ايضا بجميع انواع الفن فقد كان يبعث الطرق الجديدة في تسريح الشعر وفي تخليط الروائح وانواع اللباس المناسب لكل فصل وزمن والاطعمة التي اخترعها المسمى(بالنقايا) والمعروف بالتقليه واسس طريقه ف الغناء وذلك بافتتاحه بالنشيد اول شدوه يليه ما كان على وزن البسيط وختم بالمحركات.
كان موسيقا وعودا بارعا يعتبر اول من حلّى علم الموسيقى وكان يلقب بحكيم الاندلس لتبصره في عدة علوم وقيامه بعده تجارب واختراعات .

-فهو أول من ابتكر صناعة الزجاج من الحجارة بالاندلس
- واول من فك كتاب العروض للخليل بن احمد الفراهيدي
- واول من صنع (المنقالة) ليقرف الاوقات على غير رسم ومثال
- واول من حاول تطير جسمه سنة 273هـ /887م حيث كسا نفسه بالريش ومد له جناحين
وصار في الجو مسافة بعيدة ولكنه لم يحسد الاحتيال في وقوعه وتاذى في مؤخره
وهو اول مبتكر للاخراج حيث صنع في بيته هيئة السماء وخيل للناظر فيها النجوم والغيوم
والبرق والرعود .
وكان الامير عبد الرحمان الاوسط بقرية وكان يغني بين يديه من نظمه ومن ذلك القطعة التي
طالعها .

الجهل ليل ليس في نور والعلم فجر نوره مشهور
ومنها ايضا:

محمد اكرم مستخلف من خلفاء الله في الارض
وقد وصف بانه مجيد للشعر حسن التصرف في طريقته كثر المحاسن جم الفوائد

مؤنس المغين

ارسل الملك ابراهيم بن الاغلب (الثاني) ابا بحر بن ادهم الى مصر والعراق سنة 283 هـ 896
ف سفارة ليجلب اليه ما يجهز به عاصمته الجديدة (رقاده) قرب القيروان فعاد مصحوبا بثلة من
الاطباء والفنانين من بينهم (مؤنس المغين) الذي كان ف خدمة القائد العباسي (موسى بن يغا)
فصار مؤنس يلقي اجواري الغناء العراقي ويطرب الملوك والامراء في مجلس انسهم بغنائهم
وبعزفه على العود. بوجوده اصبحت رقادة عاصمة الفن والملاهي بافريقية بينما احتفظت
القيروان ابعا الديني وقد توجه احد شعراء القيروان يخاطب الملك في ذلك

يا سيد الناس وابن سيدهم ومن اليه رقاب الناس متقاده
ما حرم الشرب ف مدينتنا وهو حلال بارض رقاده

واستمر مؤنس المغني في خدمة بني الاغلب حتى (زيادة الله) وقد ارسل له احدى تلميذاته في يوم كان فيه في غم وتفكير في امر القلاقل التي احدثها الشيعة فغنت له
اصبر لدهر نال منك فهكذا مضت الدهور
فرح وحزن مرة لا حزن داو ولا سرور
لما آل الامر للفاطميين واستعد زياره الله اللخرو للمشرق ليلة الاثنين لاربعة بققين من جمادي
الثانية سنة 296هـ 20 مارس 909 م وقفت له احدى جواريه (من تلمذات مؤنس) بالباب وقد
ضمت عودها على صدرها وغنت وهي تبكي
لم انس يوم الواداع موقفنا وجفناها في دموعها غرق
وقولها والركاب سائرة تتركني سيدي وتنطلق
استودع الله ظبيبه جزعت للبين والبين فيه له حرق
فبكى زيارده والله واستبكى وانزل حملا ذهباً كان على دبة واركب الجارية...؟
وانضم مؤنس بعد ذلك الى خدمة عبيد الله المهدي في قصوررقاده ثم انتقل معه الى المهدي الى
ان انتقل الى جوار ربه اخرسنة 313هـ 925 م .

الحاجب عبد الوهاب

هو عبد الوهاب بن حسين بن جعفر كان حاجبا للدولة الصنهاجية في افريقية اى تونس
الآن وارسله المنصور المتولى سنة 373هـ/983م مع وفد يضم الشاعر ابراهيم الرقيل والكاتب
محمد بن عطية الى مصر لتدعيم صلات الاخوة والمودة مع الدولة الفاطمية وبصفه ابراهيم
الرقيق صديقه فيقول : وممن ادركته وعاشرته عبد الوهاب بن حسين بن جعفر الحاجب وذكرته
ها هنا لانه يلحق بالامراء المتقدمين غير خارج منهم ولا مقصر عنهم بن كان واحد عصره في
الغناء الرائع والدب الباري والشعر الرقيد واللفظ النيق ورقة الطبع واصبه النادر والتشبيه المصيب
والبديهة التي لم يلحقه فيه حد مع شر النفيس وعلو الهمة وكان قد قطع عمره وافنى في اللهو
واللعب والفكاهة والطرب وكان اعلم الناس بضب العود واختلاف طرائقة وصنعة اللحن ، كثير
ما يقول الابيات الحسنة في المعاني اللطيفة ويصوغ عليها الالحان المطربة البديعة المعجبة
اختراعا منه وحذاقا وكانت له في ذلك قريحة وطبع فكان اذا لم يزره احد من اخوانه حضر مائدته
وشرابه عشره من بيته منهم (جيش) ولده وعبد الله ابن اخيه وعلي وابراهيم واسماعيل بنو قيس
وعامر الشطرنجي وبعض غلمانه كان هؤلاء يغنون ويجيدون حتى يطرب فيدعو ابلعود ويغني
لنفسه ولهم وكان بشار الزامر الذي يزمر عليه من حذاق الزمرة الى اخر ما ذكره ابراهيم الرقيق

فهذا يعطينا فكره عن المغني الشاعر الحاجب عبد الوهاب ويصور لنا حالة بيت من بيوت امجاد الدولة الصنهاجية بتونس .

أبو الصلت امية بن عبد العزيز

هو ابو الصلت اميه بن عبد العزيز بن ابي الصلت ولد بداية سنة 460هـ/1068 م واقام باشبيليا ف الاندلس وقضى بها شبابه ثم انتقل الى مصر فاكرمه وزيرها الافضل شاهناه ثم غضب عليه في قضية السفينة المشهورة فسجنه في خزانة الكتب فزاده ذلكعلما بالفنون التي اختص بها وبعد خروجه من السجن انتقل الى افريقية (التسمية القديمة لتونس) فاستقبله ملوكها الصنهاجيون احسن استقبال ودخل في خدمتهم يمارس الفنون والعلوم التي امتاز بها وهي الفلسفة والطب والرياضيات والموسيقى التي تمكن منها وبرع في تطبيقها على آلة العود وفي الانتاج عليها لمجموعة من الاغاني شاعت في المغرب ردحا طويلا من الزمن وكان مع ذلك ديبا شاعرا ومن شعره :

وقائله ما بل مثلك خاملا انت ضعيف الراي ام انت عاجز فقلت لها دنبي الى القوم انني لما لم يحوزوه من المجد حائز وما فانتني شيء سوى الحظ وحده واما المعالي فهي عند عرائز وجهه ملك تونس الى مصر في مهمة فاقتبله الوزير الافضل شاهناه وقال فيه امية قصيدته المشهورة نسخت غرائب محك التشبيب وكفى به غزلا لنا ونسيبا ثم رجع للمهدية بتونس واستقر بها ومن شعره في الغزل

لا تسألني عن صنيع جفونها يوم الوداع وسل بذلت من نجا لو كنت املك خدما للثمته حتى اعيد به الشقيق بنفسجا او كنت اهجع لاحتضنت خيلاها ومنعت ضوء الصبح ان يتبلجا وبنت في الظلماء كحل جفونها وعقدت هاتيك الذوائب بالدجى والف ابو الصلت الحديقة على غرار بيتيمة الدخل للثعالبي وله رسالة في الموسيقى ترجمت للعبرية وتوفي رحمه الله بالمهدية سنة 529 هـ /1134 م ودفن بالمنسبير واوصى ان يكتب على قبره

سكنتك يادار الفناء مصدقا باني الى دار البقاء اصير
واعظم ما في الامر اني صائر الى عادل في الحكم ليس يجور
فيا ليت شعري كيف القاه عندها وزادى قليل والذنوب كثير
فان اك مجزيا بذنبي فانني بشر وعقبي المذنبين جدير
وان يك عفو ثم عني ورحمة فثم نعيم دائم وسرور

ابن باجة

المغني الفيلسوف والاديب

هو ابوبكر محمد بن الصائغ عرف بابن باجة فهو اندلسي سرقسطي متضع في الفلسفة واعتبر في القرن السادس للهجرة الثاني عشر ميلادي فيلسوفالاندلس وكان ايضا اديبا ضليعا ومسبqيا بارعا يؤلف موشحاته ويلحنها وصفه ابن خلدون بصاحب التلاحين المعروفه. تقلد المناصب العليا في الاندلس حتى وصل الى الوزارة عند مرسقسطة ابو بكر ابراهيم بن تيفلويت في عهد المرابطين واستمر في هذا المنصب نحو العشرين سنة . ومما يروى عن ذكائه انه غنى يوما امام اميره الموشح الذي مطلعته :

جرر الذيل ايما جر وصل الشكر منك بالشكر

الى ان يقول

عقد الله راية النصر الاميرالاعلا ابي بكر

فصاح ابن تيفلويت واطرباه ممزقا ثيابه وقال ما احسن ما بدات وما ختمت واقسم الا يرجح ابن باجه لداره الا على ذهب وخاف صاحبنا من كلام الناس وسوء العاقبة فوجد الحل الذى لا يحنث به اميره وذلك بوضع قطعتي ذهب في نعليه . وقال فيه الامير ركن الدين ببيرس ف تاليفه زبده الكره في تاريخ الهجرة :ان بان الصائغ كان عالما فاضلا. له تصانيف في الرياضيات والمنطق وانه وزر لابي بكر الصحراوي صاحب سرقسطة ووزره ايضا ليحي ابن يوسف بن تاشيفين عشرين سنة بالمغرب وان سيرته كانت حسنة فصلحت به الاحوال ونجحت علي يديه الامال فحسده الاطباء والكتاب وغيرهم وكادواه فقتلوه مسموما .

وقد هجاه الفتح بن خاقان في القلائد بقوله : الاديبي ابو بكر بن الصائغ ، هو رمد عين الدين وكمد نفوس المهتدين اشتهر سخفا وجنونا وهجر مفروضا ومسنونا فما يتسرع ولا ياخذ في غير الاضاليل ولا يشرع ناهيك من رجل ما تطهر من جنابة ولا أظهر فيه سخفا وتحاملا هما ثمرة الحسد

ومما يروي عن دقة معرفته بالفلك انه مات له صديق فبات بعض اصحابه عند ضريحه وكان عرف وقت كسوف القمر بصناعة التعديل الفلكي فختار قبيل الكسوف بدقيقة وتغنى بما يلي :

شقيقك غيب في لحده وتشرق يا بدر من بعده
فهلا كسفت فكان الكسوف حدادا لبست على فقده

فكسف القمر وابهت الحاضرون

وقد اعتقل هذا الفيلسوف العالم والديب البارح ووصل به الياس الى ان انشد في سجنه :

لعلك يا يزيد علمت حالي فتعلم أي خطب قد لقيت
واني ان بقيت بمثل ما بي فمن عجل الليلي ان بقيت
يقول الشامتون شقاء بخت لعمر الشامتين لقد شقيت
اعندهم الامان من الليلي وسالهم بها الزمن المقيت
وما يدرون انهم سيسقوا على كره بكاس قدس سقيت

وتوفي هذا الفنان الاندلس الكبير بمدينة فاس بالمغرب سنة 533هـ/1138 م
ودفن بها بباب الشريعة بعدما واصل السير ف الطريق الذي خطه زرياب في مدرسة قرطبة في
القرن الثاني ويقال ان جانبا كبيرا من التراث الاندلسي الذي وصل الشمال الافريقي هو من
انتاجه.

ابو الحكم عبيد الله بن المظفر البهلي وابنه محمد
ولد ابو الحكم عبيد الله بن المظفر البهلي بمدينة المرية بالاندلس 487 هـ/1094 م وقضى بها
شبابه حتى حذق الادب والموسيقى والطب وعمل بالاندلس الى ان هاجر الى بغداد في سن
الثلاثين وصار يلقب فيها بالمغربي واستقبله اهله احسن استقبال واسس بها مدرسة علم فيها
الوان اختصاصه

ثم التحق بخدمة السلطان محمد السلجوق وصار طبيبا لمعسكره يرافقه في تنقلاته ويقول
المقرى في شأنه كان ابو الحكم فضال في العلوم الحكية متقنا للصناعة الطبية، حسن النادرة،
وكان يقرف صنعة الموسيقى ويلعب العود .
وانتقل عبيد الله بعد

ذلك الى اشام واستقر بدمشق وزاول بها مهنة الطب بالحي المعروف باللبادين واجز بها كتابا
في الموسيقى وديوانه (نهج الوضاعة لاولى الخلاعة) ويلاحظ من شعره من الجد بالدعابة
والهزل ومن ذلك قوله لما طلب منه الشاعر بن الوحش كتابا الى ابن منير بالوصية عليه :

ابا الحسين استمع مقال فين عوجل فيما يقول فارتجلا
هذا ابو الوحش جاء ممتدحا للقوم فاهنا به اذا وصلا

الى ان يقول

تنوب عن وصفه شمائله لا يبتغي عاقل به بدلا
وهو على خفة به ابدا معترف انه من الثقلا
يمت بالثلب والرقاعة والسخف واما بغير ذاك فلا

ومات رحمه الله سنة 549هـ/1154م بعدما ترك مجموعة من الطلاب البارزين واصلوا التعلق
مستشفيات جمشق مكان والده وعرف مع ذلك برسوخ ضلعه في العلوم الموسيقية ووبراعته في

العزف على العود والزمير واللايقاع مع الغناء وتأليف الألحان واختراع ارغنا دقيقا جدد به موسيقى الجبل

وتوفي رحمه الله في دمشق سنة 574هـ/1178م بعدما ساهم في اثراء الفن العربي .

التيفاشي

هو أحمد بن يوسف بن أحمد بن بكر بن حمدون شرف الدين القيسي التيفاشي ولد سنة 580 هـ /1184 م بتيفاش من القرى القريبة من مدينة قفصة في الجنوب الغربي التونسي . لي القضاء بقفصة ثم انتقل إلى مصر حيث قضى بقية حياته له كتاب الموسيقى عنوانه (متعة الأسماع) نقل عنه المؤرخ الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب ما يتعلق بالموسيقى في عهد الحفصيين بتونس) ما يلي :

فأما أهل افريقية (ويعنى تونس) فإن طريقتهم في الغناء مولدة بين طريقتي أهل المغرب والمشرق ، فهي أحفل من طريقة أهل الاندلس وأكثر نغما من طريقة أهل المشرق وكذلك أشعارهم التي يغنون بها ث أشعار المولدين، ونحن نذكر جانبا مما يتغنى به من الأشعار بالمغرب والاندلس وإفريقية ليقف لقارئ عليه، فمن شعارهم الملحنة التي يتداولون الغناء فيها في سائر هذه الأقاليم صوت

منفرد بالحسن خلو من الهوى عليم بأسباب القطيعة والعتب

ثم ثال (وقد حضرت بإفريقية أول القرن السابع إلى مطرب أندلسي فغنى في شعر أبي تمام الذي أوله) : (نفس البيت السابق) فعددت له في هذا البيت أربعة وزيعين هزه كما حضرت جارية مغنية في مجلس عظيم من عظماء تونس تغني شعر عمر أبي ربيعة
كي الكوميت الجري لما جاهدته
وبين لو يستطيع أن كلم
فمر عليها في غناء هذا البيت وحده مقدار ساعتين من الرمال

وقد بين لنا التيفاشي في هذا النص مدى تصرف المغنين والمغنيات من إشبيليا بالاندلس إذ يقول :
وتباع الجارية منهن بألف دينار مغربي وأكثر من ذلك ولا تباع الجارية إلا ومعها دفتر فيه جميع محفوظاتها. وكثيرا ما يشترط المشتري أن تكون من ضمن محفوظات الجارية قطعة (تشكي الكمت) لأنها مشتهرة بني الناس ولا يمكن أن يؤديها إلا منته مجيد في صنعة الغناء .

وبين لنا التيفاشي تركيب النوبة المغربية فقال : إنها تقوم من نشيد واستهلاك عمل ومحرك

وموشحة وزجل وجميعها يتصرف في كل بحر من البحور أي أدوار الأغاني العربية

وهو بذلك يقر ما أكده الكندي في القرن الثالث هجري من وحدة الموسيقى العربية ف الأصل

واختلافها في لهجة الأداء كما يظهر لنا تطور الغناء عما كان عليه في عهد زرياب بقرطبة

ويوضح لنا من جهة أخرى توسع النوبة في زمانه عما هي الآن في مختلف أقطار المغرب

العربي وتوفي هذا القاضي الفنان بمصر سنة 651 هـ / 1253 م وهو بذلك معاصر لصفي الدين الأرموي ونصر الدين الطوسي .

وأما المغنيات فنذكر ممن أولا الاميرة ولادة :

هي ولادة ابنة الخليفة المستكفي بالله الذي تولى الخلافة بالأندلس سنة 414هـ/1023م شبت في أحضان الخلافة متصلة بأبرز الدباء والفنانين الى أن صارت مغنية بارعة وأدبية أخاذة مع جمال مسي للعقول .

وقد كانت تنظم ناديا في بيتها يجتمع فيه أبرز من له صلة بالأدب والفن والنكتة ليتنافسوا أمامها ويحو الفائز كلماتها المعوسلة ويحظى بالابتسامة منها والرضى.

وكان بان زيدون ذو الوزراتين هو شاعرهما المفضل لسمو معانيه ومسويقية ألفاظه فكان عطفها عليه سبب سعادته من جهة ومجلبة للحساد الذين نسجوا له خيوط شقائه من جهة أخرى .

ومن شعره الذي تغنت به

ودع الصبر محب ودعك ذائع من سره ما استودعك

ويقول في ابن زيدون :

الاهل لنا من بعد هذا التفرق سبيل فيشكو كل محب بما لقي

ولما سجن ابن زيدون وتغيرت عليه الأيام قال في ولادة قصيدته الرائقة التي مطلعها :

أضحى التناهي بديلا من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا

وقد أطال الله ف عمر ولادة فكانت مثال التضحية فلم تتزوج رغم هلاك العشقين من أجلها

وفضلت الحياة بين شعر وغناء وغزف تستعيد به ذكريات الشباب وتحن إلى من انسجمت روحها

بروحه الشاعر ابن زيدون وكانت وفاتها بقصر والدها بقرطبة سنة 484هـ/1091م .

وقد ألفالمرحوم عبد الزاق كرباكة في تونس سنة 1945 رواية بعنوان ولادة وابن زيدون لجمعية

الكوكب التمثيلي تدعى كمغناة كان لنا شرف تلحينها آنذاك .

واما لمحترفات فقد كانت لهن درجة ثقافية عالية نور لبينها ما كتبه ابن عذري

مغنيات بالأندلس

وليان مكانة المغنيات ودرجة ثقافتهن في الأندلس نورد ما كتبه ابن عذاري المراكشي في

مؤلفه "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب " عن جارية ابن عبد الله المطلب التي " لم

يرفي زمانها أخف منها روحا ولا أسرع حركة ولا الين عطا ولا أطيّب صوتا ولا أحسن غناء ولا أجود خطأ وكتابة ولا أبدع أدبا ولا أحضر شاهدا مع السلامة من اللحن في كتابها وغنائها لمعرفة بالنحو واللغة والعروض الى جانب المعرفة بالطب وعلم الطبائع ومعرفة التشريح وغير ذلك مما يقصر عنه علماء الزمان وكانت محسنة في صناعة الثقافة المحاولة وبالتراس واللعب بالرمح والسيوف والخانجر المرهفة لم يسمع لها في ذلك بنظير ولا مثل ولا عديل " واشتهرت عدة مغنيات بالأندلس محسنات نذكر منهن:

1- فضل المدينة التي كانت حاذقة للغناء كامل الخصال، أصلها لاحدى بنات هارون الرشيد نشأت وتعلمت عندها ببغداد ثم انتقلت الى المدينة المنورة فازدادت طبقتها في الغناء فاشترت مع صاحبها (علم) بالمدينة ومجموعة من الجواري المغنيات للأمير عبد الرحمن صاحب الاندلس الذي كان يؤثرهن لجودة غنائهن ونصاعة ظرفهن ورقة أدهن وذلك مع جاريته الاسبانية (قلم) التي كانت تحذق الغناء مع رسوخ قدمها في الدب وحفظها للأخبار واشتهارها بالذكاء .

2- قمر جارية إبراهيم بن حجاج اللخمي صاحب إشبيلية جلبت إليه بمن بغداد وكانت من أهل الفصاحة والبيان، ومعرفة بصوغ الألحان جمعت أدبا وظرفا ورواية وحفظا، مع فهم بارع وجمال رثاع وكانت شاعرة مجيدة - ومن شعرها في سيدها :

ما في المغرب من كريم يرتجي إلا حليف الجود إبراهيم
إني حللت لديه منزل نعمة كل المنازل ما عداه ذميم

أ- فاما المقامات فقد كانت ولا تزال تنعت في هذه المنطقة "بالطبوع" جمع طبع، فيقال مثلا : طبع الحسين او طبع المزموم والظاهران لهذا الاستعمال اشارة لارتباط المقامات الموسيقية بطابع الانسان الاربعة في التأثير كما بينته كتب العلوم الموسيقية العربية مثل التي لابي يوسف يعقوب الكندي المتوفي سنة 252هـ 866م وخاصة منها رسالته التي عنوانها "رسالة في ترتيب النغم الدالة على طبائع الاشخاص العالية وتشابه التأليف" ولابن المنجم والفراي وابن سينا وابن زيله الى صفي الدين الارموى الذي ادرك آخر مراحل الدولة العباسية وحضر سقوط بغداد. وقد الفت اشعار عديد بالعربية والتركية والفارسية وحتى الهندية حول هذا الموضوع نورد منها بيتين للقاضي المرحوم عبد الواحد الونسي المتوفى بفارس سنة 955هـ 1584م من قصيد الطويل

فنعمة صوت (الذيل) ثم فروعه تحرك للسوداء خذها مرتلا

وللبلغم (الزيدان) ثم (اصبهانه) (حجاز) (زوركند) كما انجلا

وجعل الشاعر كشاجم المتوفى سنة 350هـ 961م الخ ارتبط طبائع الانسان باوتار

العود حيث يقول : فللنا رمنة (الزير والارض) (بمه) وللريح (مناه) وللماء (مثلته)

من هذه المقامات والطبوع ما يرتبط ارتباطا كليا بالتالي للمشرق العربي والاسلامي مثل 1- مقام
الماية الذي يتصل بالراست الشرقي وقد وصفه ابو الفرج الصبهان في كتاب الاغاني بكونه
يبتدى بالخنصر في مجر البنصر وجرت العادة في تونس ان يغني في الصباح الباكر واليكم منه
ختم نوبة الماية ومن عادة اختتام النوبات ان تتناول التوحيد بالله تعالى
(هيبت في قلبي محده يا ملك الملوك)

2- ومن هذه المقامات المعروفة براسن الذيل وهو عبارة عن الراسن قد حركت درجته الرابعة
برفقها الحينا مثلما يفعل المغنون العراقيون عند فقلة مقام الراسن كما في المقال الوالي وهو آخر
ما انتج اخواننا اللاجعون الاندلسيون عند مغادرتهم لمنطقة "غرناطه"

آه على ما فات ناري لها اوقود

هيهات هيهات زمن مضى بعود

وهو على وزن البطايحي الذي يتصل احد وزني الصوت الخليجي

3- ومن هذه المقامات ايضا مقام الحسين وهو يقارن او البيات في المشرق العربي الاسلامي
وقد رمز له ابو الفرج الاصبهاني بكونه يبدأ بالسبابة على وتر المثني للعود في مجرى البنصر
وله عدة انواع نورد منه المصال الموالي وهو في وزن الاقصاق ذي التسع وحدات
(بالله يا حوى الجمال) يا مخجل الظبي الاغن)

4- ومن المقامات التي يشترك ديها المغرب والمشرق مقام الاصبعين او الحجاز ومنه هذا
الموشح الملحن على وزن النوخت ذي السبع وحجات وخو مولد من التفعيلة الشعرية (مفاعلتن)
(يال قومي ضيعوني ورأوا قتلي مباحا)

5- ومنه مقام السيكاه ومقام العراق ورمز لثانيهما الو الفرج بتركيزه على بنصره وتر المثني ومن
السيكاه موشح على وزن السماعي ذي العشر وحدات
(اتق الله يا معذب قلبي لا تزدني على نحولي نحولا

وعليه عدد كبير من ابتهالات والتسابيح

وقد اعتنت هذه المنطقة من البلاد العربية والاسلامية بالموسيقى الافريقية الزنجية وادخلتها في
تراثها ولحنت لعيها عدد كبيرا من الموشحات والازجال ويسمى مقامها "رصد كناوي" في المغرب
نسبة الى مدينة كنو من نيجيريا نذكر منه ختم النوبة ابش لقد نلت ما تريد والفرج مستقبل يزيد
الحب داء لمدوام دواؤه وصلك السعيد

ثم علم الفنانون على مزج المقامات العربية التي وصفها الاصبهاني في كتب الاغاني
بالمقامات المتأصلة في شعب المغرب الذي كان دعامة الجيش الفاتح للاندلس وهي مثلها مثل

المقام الافريقي الزنجي ذات طابع خماسي وكونوا من مجموعها عددا من المقامات ذات طابع مميز جمع بين المدرستين العربية والافريقية منها على سبيل المثال :

1- مقام الذيل وله صلة متينة بمقام تركي يعرف "بالرهاوى" وليكم منه موشح على وزن

البطايحي من تأليف ابراهيم بن سهل الاشبيلي

ليالي السعود ترى هل تعود ويشجع شملي كنتك العهود

ونجني الورود ورود الخدود ويكمل بهذا فهذا مرادي

ومن هذا المقامات الممزوجة مقام يعرف في تونس وليبيا بالاصبهان وفي المغرب بالعشاق وله

صلة بمقام تركي اسمه "يكاه" اليكم منه موشح على وزن "البطايحي طالع

جسمي فاني من هواك وغرامي فيك يزيد

وانا لم اعشق سواك يا هلال في كل عيد

ومثل هذه المقام كبير في موسيقى المغرب والاندلس تختم الحديث عنها بمقام المزموم الذي

سجله الامير الصنهاجي تميم بين المغربي باديس حاكم افريقيا بين سنتين 454-501 هـ في

احدى قصائده حيث تقول :

والطبل يخفق والمزامير حوله تتخالف العيدان في المزموم

نورد منه مثالا طريف من التراث التونسي على وزن البرول الشبيه بالوجه الشرقي يشكو

صاحب البعد والهجران على مختلف احرف الهجاء

يف يا سلطاني والهجران كواني

وحتى لا نطيل عليكم فقد تعرضنا لاشهر الايقاعات الرائجة في الامثلة السابقة اما الاشكال

فابرزها الى معدل خمسة موازين تفتح بمقدمة موسيقة تسمى في المغرب والجزائر التوشية وفي

تونس استفتاح ومصدر وتتخلل تلكم القطع فواصل موسيقية صغيرة يسمى كل منها فارغة او

كرسي اولازمه .

وما الآلات المستعملة في الموسيقى التقليدية فهي الرباب وهو ذو وترين يجر بالقوس

والعود الرباعي الو الكوترا في تركيا واليونان وهما شبيهان الى حد كبير اللوطة التي لا تزال

مستعملة مع آلات الايقاع "النقرات" والطار او "الدف" وقد دخلت هذه الآلات الى اوروبا مع

الفاحين الاوائل واستعملها المغنون الاوروبيون المعروفون "بالتروبادور" في جنوب فرنسا

"والتروفار في شمالها . فهذه لمحة عن موسيقى المغرب العربي والاندلس نرجو ان تعززها

الوسائل الاعلامية عن طريق تبادل البرامج ليتعرف الشباب العربي على تراثه الفني الكامل ليعتز

بما بناه الاسلام ويضيف عليه لبنات جديدة تدعم وحدتنا وترفع مكانتنا بين الشعوب والام والله

الموفق الى ما فيه الخير والسلام.

